أثر القومية على العقيدة الإسلامية
دراسة عقدية تأصيلية

دكتور/ محمد بن فهد المطيري

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمدلله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لااله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١

امابعد ، فان اصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلاله ، وكل ضلالة في النار ، وبعد :

فهذا بحث في القومية أثرها على العقيدة الإسلامية ويتكون من مقدمة وستة مطالب وخاتمة :

المطلب الاول :التعريف بالقومية .

المطلب الثاني : نشأة القومية .

المطلب الثالث : أثر القومية على العقيدة الإسلامية.

المطلب الرابع: الجمعيات ذات التوجه القومي .

المطلب الخامس: موقف الاسلام من القومية العربية

المقدمة

إنّ فكرة القومية قديمة قدم الاجتماع البشري، ولكنها تسمى قديماً "العصبية" فالعصبية كانت تجمع أفراد القبيلة الواحدة في تكتل واحد، وكان العرب قبل الإسلام تسود فيهم – وبصورة جامحة– العصبية القبلية والدموية، فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين وبسبب الروح العصبية نشبت حروب وأريقت دماء غزيرة، منها حرب داحس والغبراء وحرب البسوس.

ولما قامت دولة الإسلام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم تم القضاء على النعرات والدعوات القبلية والقومية، آخى عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار على أساس رابطة الأخوة الإيمانية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الحجرات: ١٠، وليس على أساس آصرة أخرى، آخى بين بلال بن رباح الحبشي وخالد بن رويحة الخثعمي العربي، وبين مولاه زيد وعمه حمزة بن عبد المطلب، وبين خارجة بن زيد وأبي بكر الصديق، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان. وقرّب عليه الصلاة والسلام سلمان الفارسي فقال: (سلمان منا آل البيت)، وجعل بلالاً الأسود الحبشي مؤذناً ينادي حيِّ على الصلاة.

وذمّ صلى الله عليه وسلم العصبية فقال: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية)(١)، ولما تنازع اثنان من المسلمين وأرادا أن يثيرا العصبية فنادى الأنصاري: يا للأنصار، ونادى المهاجري: يا للمهاجرين، قال صلى الله عليه وسلم غاضباً : (ما بال دعوى الجاهلية؟... دعوها ، فإنها منتنة)(٢).

لقد ألغى الإسلام كل أنواع التفاضل بين القوميات، وأثبت معياراً واحداً للتفاضل ألا وهو تقوى الله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات: ١٣

وعلى عهد الخلفاء الراشدين –رضي الله عنهم– ضمّت أرض الإسلام قوميات شتى: العرب والروم والفرس والأحباش وغيرهم، فما فُضّل عربي على أعجمي لعروبته وما فُضّل أحد لجنسه أو لونه، بل كان الفضل بعد التقوى للعمل الصالح،

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣٣٢/٤) برقم(٥١٢١).
(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٩٩٨/٤) برقم (٢٥٨٤).

وعرفت علوم الإسلام في فروعها المختلفة، ففقهاء وعلماء من الأمصار ليس فيهم من العرب إلا النزر اليسير(١).

وفي العصر الحديث عرفت أوربا فكرة القومية، ثم تخلّت عنها بعد أن اكتوت بنارها، ولكن الأمة الإسلامية ابتليت بها، إذ ظهرت القومية الطورانية، والقومية العربية والقومية الكردية، والقومية الفارسية، وأشدها فتنة كانت القومية الطورانية والقومية العربية اللتان كانتا سبباً في إلغاء الخلافة الإسلامية وإلغاء فكرة الجامعة الإسلامية .

[1] أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د. علي جريشة وزميله(ص: ٧٥).

المطلب الأول : تعريف القومية :

القومية في اللغة العربية : مصدر منسوب الى قوم وقوم الرجل شيعته وعشيرته .

وقد ورد في "المعجم الوسيط" :

القومية :

اجتماعية عاطفة تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع ، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون الى الوحدة كالقومية العربية . [١]

اصطلاحا :

وأما في مصطلح العصر فلم يتفق دعاتها على مفهوم محدد هل هي مجرد الانتساب الى جنس معين ، أو هي نتيجة التكلم بلغة واحدة ، أو هب أثر من اثار وحدة الارض والوطن والولاء للدولة القومية ، او هي نتيجة الرغبة في التعايش الاقتصادي المشترك ، او هي ارتباط الفرد بجماعة من الناس تعرف باسم الامة والحرص على مصالح هذه الجماعة والعمل من اجلها . [٢]

وقيل : أن يشعر جميع ابناء الاصل الواحد والعرق المشترك بالولاء والانتماء لأصلهم الذي جاءوا منه ، وعرقهم الذي انفصلوا عنه .[٣]

وقيل : هي شعور بالانتماء والولاء إلى مجموعة متحدة يشتركون في أصل عرقي وأحد ، وروابط تاريخيه ، ولغة مشتركة وان تعددت اوطانهم .[٤]

ولعل أجمع التعاريف ما ذكر في "الموسوعة الميسرة" حيث قالوا :" هي حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو الى تمجيد العرب ، واقامة دولة موحده لهم ، على اساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ ، واحلالها محل رابطة الدين . وهي صدى للفكر القومي الذي سبق ان ظهر في اوروبا" .[٥]

---

[١] "المعجم الوسيط" (٧٦٨/٢).

[٢] "هذه قومتينا" . تأليف : عبدالرحمن البزار (ص: ٢٣) .

[٣] "مذاهب فكرية معاصرة" ، عرض ونقد ، محمود مزروعة (ص: ٤٦٥).

[٤] "الحركات القومية الحديثة في ميزان الاسلام ". نقلا عن" دراسات في المذاهب الفكرية" ، أحمد عبد العال (ص:١٧٠).

[٥] (١ /٤٤٤).

المطلب الثاني : نشأة القومية:

ظهرت فكرة القومية في أوروبا مع أفكار كل من القس " لوثر " الألماني الجنسية ، و" كلفن " اللذين قاما بدور كبير في حركة الإصلاح وإعادة البناء في الكنيسة الكاثوليكية ومن ثم رفعا راية العصيان والتمرد عليها ، وكان من نتيجة ذلك ظهور المذهب البروستانتي " أي الاحرار " .

وقد لعب اليهود الدور الأكبر في إشعال نار الفتنة التي انبثقت من خلالها تلك الفكرة الجهنمية حتى يتسنى لهم تدمير المجتمع النصراني وتفكيكه إلى دويلات وقوميات مبعثرة وبذلك تتوافر لهم فرص الحياة الهنيئة بعد أن تعرضوا للاضطهاد طيلة القرون الوسطى وما تبع ذلك من ذل وهوان له من جانب الكنيسة الكاثوليكية .

وبذلك استطاع اليهود بهذه الفكرة الانشقاق وتكسير القوانين الكاثوليكية التي كانت تحول بين اليهود وبين السيطرة على المراكز الأساسية في المجتمع الأوروبي .

ومن هنا تبنى اليهود فكرة القومية التي تهدف إلى اعلاء شان الوطن والقوم واحلالها محل الرابطة الأساسية وهي " الدين " وذلك لإخفاء التميز بين النصراني واليهودي ، ومن ثم تداعت الرابطة النصرانية في أوروبا وعلت الصيغة القومية .

وهكذا تحولت القومية إلى دين وعقيدة فتحمست المانيا لهذه الفكرة التي اتخذتها معبودة لها وجعلت من الجنس الآري أعظم الأجناس في الأرض .[١]

وهكذا تبرؤوا حتى من المسيح لكونه ليس من جنسهم الآري ، بل ظهرت في المانيا نزعة إحياء الالهة القومية القديمة التي كان يعبدها الشعب الألماني في عهده القديم . [٢]

وحين ننظر إلى أوروبا فإن أوروبا كانت تربطهم برابط الكنيسة الدينية في شتى المذاهب وحين فقدت سلطانها على النفوس تحولت دول أوروبا إلى شتات من البشر لا تربط بينها رابطة فلجئت إلى طريق القوميات كوسيلة تربط بها بين شعوبها وتجمع بها هذا الشتات الضائع فجمعت نفسها في قوميات عدة كقومية المانيا وفرنسا والنمسا ... ثم جاء يوم تحاربت فيه على أساس هذه القوميات في الحرب العالمية الأولى والثانية ، فلما أحست بلعنة القومية اخذت تتخلى عنها وعدت كثير من مفكريها للدعوة لها دليلا

---

[١] "مؤلفات في الميزان" : أنور الجندي (ص: ٤٩).

[٢] "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" (ص: ١٧٦) تأليف: علي أبو الحسن الندوي

على الرجعية والتخلف وعنصرا هادما للإنسانية واعتبروها نوعا من التجارب التي لجات إليها أوروبا في ظروف خاصة وفي وقت محدود . [1]

نشأة القومية في ديار المسلمين :

إن نشأة القومية العربية في بلاد العرب والمسلمين كان هدما مرسوما ومخططا دقيقا من قبل أعداء الإسلام وهم اليهود والنصارى ، الذين لعبوا دورا بارزا وخطيرا في تمزيق الأمة الإسلامية وجعلها دويلات متناحرات متقاتلات بعضها مع بعض لها حدود جغرافية ولها تشريعات وقوانين ودساتير على أساس القومية العربية والسياسية بعيدا عن شرع الله وحتى تكون الصورة واضحة لنرى ما فعله اليهود والنصارى في تكوين دويلات صغيرة وآيات شيطانية .

أولا : اليهود :

لعب اليهود دورا شيطانيا لا سقاط الخلافة الإسلامية حتى يتسنى لهم أن يقيموا وطنا قوميا في فلسطين وبخاصة في القدس " اورشليم " الأرض المدعوة كما يطلقون عليها وقد حاول اليهود عدة محاولات

لا نشاء هذا الوطن المزعوم على حساب المسلمين وطرقوا الأبواب ولكن كانت الأبواب مؤصدة أمامهم

مؤامرة خطيرة :

حينما راي اليهود قوة الخلافة الإسلامية وبغض المسلمين لليهود الذين يعيشون في بلاد العالم الإسلامي كما عملوا على تفتيت ذلك الصرح الشامخ المتمثل في الخلافة .

ففي القرن الخامس عشر الميلادي ، استطاع اليهود ان يدفعوا بفتاة جميلة الى السلطان " سليمان القانوني " الذي اعجب بها واتخذها زوجة له ، وبفضل نفوذها في القصر زوجت ابنتها " بهرماه " من رستم باشا وتمكنت من قتل الصدر الأعظم رئيس الوزراء آنذاك . " ابراهيم باشا " ونصبت رستم مكانة ، ثم دبرت مؤامرة اخرى خنقت فيها ولي العهد " مصطفى بن سليمان القانوني " من زوجته الأولى بحجة أنه يفكر في مؤامرة للإطاحة بوالده ونصبت ابنها " سليم " وليا للعهد ، وقد استطاعت هذه اليهودية أن تحصل من السلطان سليمان على إذن بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين . [2]

---

[1] نقلا عن "سلسلة الحصين" (٤ / ١٦٣٢) .

[2] "اسرار الانقلابات العثمانية " (ص: ٦) تأليف: مصطفى خوران

وتدفقت اليهود من كل حدب ينسلون على فلسطين إلى أن جاء الخليفة " عبدالحميد " رحمه الله الذي حاولوا إغراءه بالأموال مقابل السماح لليهود بأن يقيموا وطنا قوميا لهم في فلسطين وقد بدأت المحاولات باليهودي الثري " قره صو " على الدخول على السلطان عبدالحميد بواسطة مرافقه " عارف بيك " .

فقد قال له إذ ذلك بالحرف الواحد : إنني قادم مندوبا من الجمعية الماسونية لرجاء جلالتكم أن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية لخزانتكم الخاصة ، ومئة مليون قرضا لخزانة الدولة بلا فائدة على أن تسمحوا لنا ببعض الإمتيازات في فلسطين !

فما هو إلا أن تغير وجه السلطان غيرة وغضبا، والتفت إلى مرافقه الذي دخل بواسطته قائلا : " أفما كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير؟ "؛ ثم نظر إلى قره صو وصاح في وجهه قائلا : أخرج عن وجهي ياسافل .

فخرج " قره صو " من عنده متلبد الوجه قاصدا إلى ايطاليا ومن هناك أرسل إلى السلطان عبدالحميد البرقية التالية : " أنت رفضت عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيا ، ويكلف مملكتك كثيرا " . [1]

المحاولة الثانية :

حاول "هرتزل" اليهودي برفقة الحاخام " موسى ليفي " مرة اخرى مع السلطان عبدالحميد أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذي يريد ، فقال له السلطان عبدالحميد رحمه الله بالحرف الواحد : إن هذه الأراضي قد امتلكها المسلمون بالدماء وهي لاتباع إلا بنفس الثمن .

ومن هذا المنطلق الإيماني من هذا السلطان المسلم الذي ابى أن يبيع أرض المسلمين لليهود وكانت النتيجة كما قال اليهودي " قره صو " سيكلفك أنت شخصيا ويكلف مملكتك كثيرا حين قامت جماعة ماسونية من إشاعة ان السلطان عبدالحميد قد اتفق مع العرب على مؤامرة يريد منها الكيد للشعب التركي ، والقضاء على العنصرية التركية وأن دعوى الجامعة الإسلامية – التي يدعو إليها السلطان – ليست إلا غطاء دينيا يريد منه ستر هذه المؤامرة .

وأوحت إلى احد الكتاب الملاحدة وهو ضياء كوك آلب مع مثله من أتباعه بفكرة ايقاظ القومية التركية الطورانية ، وفلسفتها والدعوة إليها والغلو في تمجيدها ... فاستجابوا

[1] "القومية في ميزان الاسلام" (ص :١٠-١١) تأليف: عبدالله علوان

لذلك وراحوا يبشرون بالعقيدة الجديدة ويملؤون الحديث عنها أدمغة الشباب والطلاب ... مستعينين على ذلك بترداد ما أشاعته فلول الماسونية عن الجامعة الإسلامية ومايكمن ورائها .

وكان من تأثير ذلك أن تألفت من مجموعة هؤلاء الداعين والمستجيبين " جمعية الاتحاد والترقي " التي ثارت على السلطان عبدالحميد واستطاعت إزاحته عن الحكم . [1]

وكانت نتيجة هذا الانقلاب شروط كرزون الأربعة وهي :

١- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

٢- أن تلغي الخلافة .

٣- أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٤- أن تختار تركيا لنفسها دستورا مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقائم على قواعدها .[2]

ثانيا : النصارى :

قام النصارى – وبخاصة نصارى الشام – بدور خطير في تمزيق الوحدة الإسلامية القائمة في ظل الخلافة الإسلامية ويرجع هذا إلى سببين مهمين هما :

١- حقدهم القديم على انتصار العرب المسلمين ضد حملتهم الصليبية ضد المسلمين .

٢- تمهيد سيطرتهم الاستعمارية على بلاد الشرق الإسلامي .

من هذين العاملين تولدت فكرة القومية العربية وقد صرح بها القس "زويمر" في حديثه إلى مؤتمر المبشرين بالقدس سنة ١٩٣٥ عندما قال لهم : " يخيل الي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل وجه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية ... مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية . [3]

---

[1] المصدر السابق (ص :١١- ١٢).

[2] "سلسلة الحصين" (٤ /١٦٣٧).

[3] "جذور البلاء" (ص :٢٧٥) تأليف: عبدالله التل

المطلب الثالث : أثر القومية على العقيدة الإسلامية :

كانت نتيجة المناداة بالقومية العربية وتطبيقها قولا وعملا من أسوء الاثار على العالم الإسلامي الكبير منها :

١- تمزيق وحدة العالم الإسلامي .

٢-القضاء على الخلافة الإسلامية التي تمثل وحدة المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي .

٣-إحلال القوميات محل العقيدة الإسلام وفرضها على العالم الإسلامي تشريعات شيطانية وقوانين ودساتير على أساس المصلحة القومية .

٤-جعل الوطن عقيدة وترابه رمزا للحب والولاء فلا فرق بين أحمد وجورج وليفي ومحمد ويسمى المسلم أجنبيا ويتعامل معه معاملة الأجانب .

٥-الشقاق بين أبناء الأمة الإسلامية ومن نتائجها :

أ- ايران صنعت لنفسها قومية .

ب- العرب صنعوا لا نفسهم قومية .

ت- الترك صنعوا لا نفسهم قومية .

٦-تأسيس الجامعة العربية لتكون رمزا للعرب المسلمين والصليبين واليهود لأنهم عرب ، وقد أسست هذه الجامعة لضرب الجامعة الإسلامية التي يريد اصحابها توحيد الأمة الإسلامية ، وكانت الأيادي الاستعمارية والماسونية وتلاميذهم يطالبون بألسنتهم وبأقلامهم المسمومة لتدمير هذه الجامعة الإسلامية حتى أسسوا الجامعة العربية التي تضم عرب ومسلمين ونصارى وبعثيين وشيوعيين .

وينظر قادة القومية العربية إلى الإسلام نظرة روحية فقط أي ليس للإسلام دخل في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية . وبذلك فهي تتفق مع العلمانية والبعثية في فصل الدين عن السياسة .

١- يقول ساطع الحصري وهو من أكبر دعاة القومية العربية في القرن العشرين : أنه لا الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية المشتركة تدخل ضمن مقومات الأمة الاساسية ولا الرقعة الجغرافية أي الارض[١] .

[١] انظر: " سلسة الحصين" (١٦٦٥/٤).

وهذا منشور موجه إلى الدول الكبرى والصادر عن الاجتماع القومي المنعقد في باريس عام ١٩٠٥ م والذي دعت إليه الجمعية الوطنية العربية ... نقف على هذا المحتوى – فقد جاء فيه :

" إن العرب الذين تحكم فيهم الأتراك بتفرقهم على مسائل ثانوية تتصل بالعقائد والشعائر أصبحوا داعين لوحدتهم القومية التاريخية والعنصرية ويرغبون في الانفصال عن الشجرة العثمانية النخرة وإقامة دولة مستقلة لا نفسهم تستمد جذورها الطبيعية من وادي دجلة والفرات إلى قناة السويس ومن البحر المتوسط إلى بحر عمان وستحكمهما حكومة دستورية حره على راسها سلطان عربي . [١]

فهذا المنشور يكشف هدفهم بأن الدين ليس له أي دور بل اعتبروه شيئا ثانويا بل نظروا إلى الإسلام بأنه يفرق الصفوف وأن دعوتهم على أساس :

أ- رابطة الدم .
ب- الأرض .
ت- التاريخ .

٢- يقول علي ناصر الدين في كتابه " قضية العرب " : القضية العربية لن تكون أبدا عند العربي المؤمن الحر العاقل الشريف الصالح الخير الأبي إلا قضية إيمان ... إيمان بالوطن كقضية الإيمان بالله ليس غير .

ويكشف ناصر الدين عن هويتهم وأهدافهم اللادينية وفصلهم السياسة عن الدين قائلا : " العروبة نفسها دين لنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين لأنها وجدت قبل الإسلام وقبل المسيحية في هذه الحياة مع دعوتها إلى ما في اسمى الديانات السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات .[٢]

ويقول : " القومية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزلة وحدة الله من قلوب المسلمين .[٣]

---

[١١] "الحركة الثورية والسياسية" : مجموعة من المؤلفين –(ص :٦١)وانظر: "هذه قومتينا" : عبدالرحمن البزار(ص :٣٨٣).

[٢] "قضية العرب" (ص :٦٩)

[٣] مجلة العالم العربي عدد ٢ يناير ١٩٥٩

٣- يقول محمود تيمور باشا : " لئن كان لكل عصر نبوته المقدسة فإن القومية العربية لها نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي ورسالة هذه النبوة هي تجميع القوة وتكتيل الجهود والإنطلاق بالطاقة البشرية في كيان المجتمع العربي نحو كسب الحياة " ، " وأن كتّاب العرب في أعناقهم أمانه هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة يزكونها بأقلامهم وينفخون فيها من أرواحهم ويعملون على أن تتكتل لها أسباب النماء والازدهار . [١]

٤- وكان لمذيع من إذاعة دمشق يقول :

آمنت بالبعث ربا لا شريك له

وبالعروبة دينا ماله ثاني . [٢]

٥- يرون ان الحدود بين اجزاء هذا الوطن هي حدود طارئة ينبغي أن تزال ، وينبغي أن تكون للعرب دولة واحدة ، وحكومة واحدة ، تقوم على أساس من الفكر الالماني .

٦- يدعو الفكر القومي إلى تحرير الإنسان من الخرافات والغيبيات كما يزعمون .

٧- يقرر الفكر القومي أن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم .

٨- يرى دعاة الفكر القومي إن من الاجرام أن يتخلى العربي عن قوميته ويتجاوزها إلى الإيمان بفكرة عالمية أو أممية . مع أن إبعاد الإسلام عن معترك حياة العرب ينهي وجودها .

٩- ويقرر بعضهم الآخر أن مرحلة القومية في حياة الأمة مرحلة حتميه ، وهي أخر مراحل التطور كما أنها أعلى درجات التفكير الإنساني . [٣]

١٠- إضفاء الصفة التاريخية على الإسلام ، اذ أعتبر مرحلة ماضية من تاريخ الأمة العربية ، فالقومية العربية هي الفكرة الكلية الشاملة ، والإسلام جزء منها ، أو هو تجربة أفرزته العبقرية العربية – كما يزعم بعض القوميين العرب – .

١١- محاولة تضخيم تاريخ الجاهلية وتاريخ العرب قبل البعثة النبوية .

---

[١] مجلة العالم العربي عدد ١٧١

[٢] "سلسلة الحصين" (١٦٦١/٤)

[٣] "الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب" (٤٤٥/٤)

١٢- إعطاء القومية مضمونا عقائديا ، بحيث تصبح القومية عقيدة أو دينا ، يحل محل العقائد والأديان التي من جملتها الإسلام .[١]

[١] "دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة" (ص: ١٥٩).

المطلب الرابع : الجمعيات ذات التوجه القومي :

لعبت هذه الجمعيات دورا أساسيا في نشأة وتنمية الفكر القومي لدى الشعوب العربية إلى سببين :

أ- تأثر بعض العرب والمسلمين الذين يدرسون في أوروبا بالفكر القومي والعلماني .

ب- دفع الاستعمار الغربي أعوانه وبخاصة النصارى لتمزيق الخلافة الإسلامية، فتشكلت التنظيمات القومية على ايد نصرانية حاقدة .

وفيما يلي إشارة إلى أهم الجمعيات ذات التوجه القومي :

١- الجمعية السورية: أسسها نصارى الشام ومن أبرزهم : بطرس البستاني، وناصيف اليازجي، وذلك سنة ١٨٤٧ م في دمشق ، وتسمى جمعية الآداب والعلوم .

٢- الجمعية الشرقية : تأسست عام ١٨٥٠ م، بزعامة الأب الفرنسي "زوبر دنير".

٣- الجمعية العلمية السورية : تأسست سنة ١٨٥٢ ، وبلغ عدد اعضائها ١٥٠ عضوا ، اشترك فيها زعماء عرب من مختلف العقائد ، منهم : الأمير محمد أرسلان الدرزي ، وحسين بيهم . [١]

٤- الجمعية السورية في بيروت أسسها نصارى منهم سليم البستاني، منيف خوري سنة ١٨٦٨ م .

٥- الجمعية العربية السرية : ظهرت سنة ١٨٧٥ م ولها فروع في دمشق وطرابلس وصيدا .[٢]

٦- جمعية بيروت العربية : تأسست سنة ١٨٧٥ م، والمؤسسون خمسة من الشبان النصارى من خريجي الكلية البروتستانتية السورية . [٣]

٧- جمعية حقوق المرأة العربية ظهرت سنة ١٨٨١ م ولها فروع كذلك، وهي تهدف إلى وحدة المسلمين والنصارى .[٤]

---

[١] "سلسلة الحصين " (٤ / ١٦٥٤).

[٢] "الموسوعة الميسرة"(١/ ٤٤٥).

[٣] "سلسلة الحصين" (٤ / ١٦٥٤).

[٤] "الموسوعة الميسرة" (١/ ٤٤٥).

٨- جمعية الحقوق الملة العربية : تأسست سنة ١٨٨١ م ، وكانت لها فروع في الكثير من المدن العربية ، وكانت تنادي بوحدة المسلمين والنصارى العرب .

٩- جمعية رابطة الوطن العربي أو عصبة الوطن العربي : وقد أسس تلك الجمعية نجيب العزاوي عام ١٩٠٤ م ، وقد جاهر بالدعوة إلى استغلال سوريا عن الدولة العثمانية ، وأصدر عام ١٩٠٥ م كتاب "يقظة الأمة العربية"، وأسس عدة مجلات وجرائد في فرنسا ومصر والقدس ولبنان .

١٠-جمعية الوطن العربي : أسسها سنة ١٩٠٥ م بباريس خير الله خير الله وهو نصراني أيضا من طائفة المارون ، وقد نشر هذه السنة كتابا قوميا مؤصلا بعنوان " الحركة الوطنية العربية " وأنشاء فيما بعد المجلة السورية ، ثم جريدة الحربة ، ثم أسس مع خمسة نصارى لبنان في باريس "الحزب الاشتراكي- الفرع العربي من الأممية العالمية ، ثم دمجه مع الحزب الاشتراكي المصري ، وأطلق عليه " التحالف الاشتراكي الشرقي " [1]

١١-جمعية (العربية الفتاة) : أسسها في باريس طلاب عرب منهم محمد البعلبكي سنة ١٩١١م .

١٢-الكتلة النيابية العربية ظهرت سنة ١٩١١ م .

١٣-حزب اللامركزية : سنة ١٩١٢ م .

١٤-الجمعيات الاصلاحية : أواخر ١٩١٢ م وقد قامت في بيروت ودمشق وحلب وبغداد والبصرة والموصل وتتكون من خليط من أعيان المسلمين والنصارى .

١٥-المؤتمر العربي في باريس : أسسه بعض الطلاب العرب سنة ١٩١٢ .

١٦-حزب العهد تأسس عام ١٩١٢ م وهو سري ، أنشأه ضباط عرب في الجيش العثماني .

١٧-جمعية العلم الاخضر سنة ١٩١٣ م ، من مؤسسيها الدكتور فائق شافي .

١٨-جمعية العلم ، وقد ظهرت سنة ١٩١٤ م ، في الموصل .

هذا وقد ظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة ، وفي عدد محدود من أبناء المسلمين الذين تأثروا بفكرتها ، ولم تصبح تيارا شعبيا عاما إلا حين تبنى الدعوة إليها الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر حين

[1] انظر:" سلسلة الحصين" (٤ / ١٦٥٥).

سخر لها أجهزة اعلامه وإمكانات دولته . ويمكن أن يقال أنها الآن تعيش فترة انحسار أو جمود على الأقل .

ويعد ساطع الحصري ١٨٨٠ – ١٩٦٨ م داعيه القومية العربية ، وأهم مفكريها وأشهر دعاتها ، وله مؤلفات كثيرة تعد الأساس الذي تقوم عليه فكرة القومية العربية ويأتي بعده في الأهمية ميشيل عفلق . [١]

[١] انظر:"الموسوعة الميسرة " (١/ ٤٤٦).

المطلب الخامس : موقف الإسلام من القومية العربية :

المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك لوجوه :

الأول:

أن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي، وتفرق بين العرب أنفسهم ؛ لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزابا فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه؛ وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى، كما يدل على ذلك :

قوله سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال: ٦٣

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الروم: ٣٢

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يحارب الإسلام التفرق والاختلاف، ويدعو إلى الاجتماع والوئام، والتمسك بحبل الحق والوفاة عليه، تعلم بذلك أن هدف القومية غير هدف الإسلام، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام، ويدل على ذلك أيضا أن هذه الفكرة، أعني الدعوة إلى القومية العربية وردت إلينا من أعدائنا الغربيين، وكادوا بها المسلمين، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض، وتحطيم كيانهم، وتفريق شملهم، على قاعدتهم المشؤمة (فرق تسد) وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة، مما يحزن القلوب ويدمي العيون وذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية، ومنهم مؤلف الموسوعة العربية: أن أول من دعا إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا، ليفصلوا الترك عن العرب، ويفرقوا بين المسلمين.

الوجه الثاني:

أن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها، وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية، وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية، لأنها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحق، وكم جرت الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب، والتفريق بين القبائل والشعوب.

ولا ريب أيضا أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر؛ لأن القومية ليست دينا سماويا يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم، فتأمل أيها القارئ ذلك يظهر لك وجه الحق.[١]

[١] انظر: "نقد القومية العربية ": للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ،(ص: ٧- ١١).

الخاتمة:

وبعد بيان خطر القومية على الإسلام أسال الله لي ولكم التمسك بالكتاب والسنة واتباع أثر سلف هذه الأمة ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

المراجع:

١- المعجم الوسيط – ط : دار الدعوة استانبول .
٢- هذه قوميتنا –عبدالرحمن البزار – دار القلم .
٣- مذاهب فكرية معاصرة – محمود مزروعة .
٤- الحركات القومية الحديثة في ميزان الاسلام .
٥- مؤلفات في الميزان – انور الجندي .
٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ابو الحسن الندوي .
٧- سلسلة احمد الحصين .
٨- اسرار الانقلابات العثمانية – مصطفى خوران .
٩- القومية في ميزان الاسلام – عبدالله علوان – دار السلام .
١٠- جذور البلاء – عبدالله التل .
١١- ماهي القومية – ساطع الحصري – دار القلم للملايين – بيروت ١٩٥٩ .
١٢- الحركة الثورية السياسية – مجموعة من المؤلفين .
١٣- قضية العرب .
١٤- مجلة العالم العربي عدد ٢ يناير ١٩٥٩ ، وعدد ١٧١ .
١٥- الموسوعه الميسرة – مانع الجهني .
١٦- دراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة – أحمد عبد العال .
١٧- نقد القومية العربية – للشيخ عبدالعزيز بن باز .